# صفات النبي ﷺ في سورة الأحزاب

إعداد

د. يوسف بن عبد العزيز بن عبد الله الشبل


د. يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

- الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لأحمد بن إسماعيل الكوراني من أول سورة النساء إلى آخر سورة الأعراف دراسة وتحقيق ).
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (الأمر في القرآن الكريم مفهومه ومجالاته وثمراته ).

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان واهتدى بهداهم إلى يوم الدين. أما بعد .

فإنَّ نبينا محمداً ﷺ أرسله الله ﷻ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وإنَّ كتاب الله الكريم قد أنزله ﷻ على قلب سيد المرسلين هادياً للناس ومنيراً لهم طريق السعادة ، فكان لعلماء الإسلام على مرِّ القرون عناية متميزة ، واهتمام عظيم بهذا الكتاب الكريم ، يتأملونه و يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون ما قد يخفى من ألفاظه ومعانيه ، ويظهرون أسراره الكامنة وكنوزه المغمورة ، وكأنهم أمام بحر موّاج ،لا يُدرك غوره ،ولا يتوصل إلى أعماقه،ولا يُحاط بأسراره وعجائبه.

هذا وإنَّ من وسائل تدبره واستخراج حكمه واستنباط أحكامه وكشف أسراره الكتابةَ في التفسير الموضوعي سواء كان ذلك من خلال

موضوع في القرآن الكريم ، أو في سورة معينة منه، وهو مما ظهر مؤخراً خدمة لكتاب الله ﷻ وإبرازاً لهداياته، وقد جاءت هذه الدراسة التي بين أيدينا لإبراز مكانة النبي ﷺ بما أشادت به سورة الأحزاب من بيان صفاته ﷺ، والتي وسمتها بعنوان:[ **صفات النبي ﷺ في سورة الأحزاب دراسة موضوعية** ].

**أسباب الكتابة في الموضوع:**

كان من أسباب اختياري هذا الموضوع هو تجلية مقام النبي ﷺ وبيان مكانته وفضله وذلك ليزداد المؤمن محبة لنبيه، وتعظيماً له، وتأسياً به، ولتكون وسيلة لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام ليعلموا حقيقة رسالته وأنه جاء رحمة للعالمين.

كما أن هذه الدراسة جاءت إسهاماً في الدفاع عن شخص النبي ﷺ أمام تلك الإساءات والممارسات الآثمة التي نالت من شخصه .

ففي هذه الدراسة تعريفٌ بصفات نبينا محمد ﷺ التي أشادت بها سورة الأحزاب والتي تنير لنا القلوب وتبصرها وتزيدها إيماناً ومحبة وتعظيماً له ﷺ.

وهذا التعرف له ثمرته في شحذ الهمم ودفعها لتعظيمه وتوقيره والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء أثره.

وإنما وقع الاختيار على دراسة هذا الموضوع في سورة الأحزاب دون غيرها من سور القرآن الكريم لأنَّ سورة الأحزاب تميزت عن غيرها من سور القرآن بالإشادة بذكر نبينا محمد ﷺ بصفاته الجليلة، فأحببت أن

أشارك في إبراز هذه الجوانب المتميزة خدمة لكتاب الله ﷻ ووقوفاً على هداياته، وتوقيراً لنبينا محمد ﷺ، وإبرازاً لشيء من حقوقه.

**الكتابات السابقة:**

لقد كُتبت في نصرة نبينا محمد ﷺ كتابات عديدة ومختلفة الجوانب إلا أنني لم أقف على من كتب في بيان صفاته ﷺ من خلال ما جاء في سورة الأحزاب،وآياتها الكريمة التي تضمنت ذلك ، ودراستها دراسة تفسيرية وإبراز هداياتها القرآنية .

ومن هذه الكتابات المتعلقة بالقرآن الكريم :

- مكانة النبي ﷺ عند ربه كما يصورها القرآن الكريم ، د.عبد الرحمن هوساوي .
- صفات النبي ﷺ في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير، للطالبة: إيمان العمودي، وقد تقدمت بها إلى قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام ونوقشت في ٢٨/ ٢/ ١٤٣٢هـ
- شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم ،محمد علي الهاشمي .

**خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد واثني عشر مبحثاً وخاتمة وفهارس.

المقدمة وفيها: أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، والدراسات السابقة،وخطته، ومنهج البحث.

التمهيد وفيه: التعريف بسورة الأحزاب.

المبحث الأول: صفة النبوة.

المبحث الثاني: صفة الرسالة.

المبحث الثالث: صفة التبليغ.

المبحث الرابع: صفة الخشية.

المبحث الخامس: صفة الحياء.

المبحث السادس: صفة الولاية.

المبحث السابع: صفة الصدق.

المبحث الثامن: صفة الشهادة.

المبحث التاسع: صفة البشارة.

المبحث العاشر: صفة النذارة.

المبحث الحادي عشر: صفة الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني عشر: صفة السراج المنير.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس.

**منهج البحث:**

يخضع البحث لمنهجين:

١- المنهج الاستقرائي: ومن خلاله تم تتبع الآيات المتصلة بصفات النبي ﷺ والواردة في سورة الأحزاب وحصرها.

٢-المنهج التحليلي: وتمثل في دراسة الآية أو الآيات المتعلقة بصفات النبي ﷺ والواردة في كل مبحث ،وبيان معناها ووجه الدلالة منها، وإبراز ما فيها من الأسرار البلاغية والهدايات القرآنية مما يذكره أهل التفسير.

طريقة الدراسة في هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها بأرقام آياتها.
٢- تخريج الأحاديث من مظانها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفى بذلك. وإن كان في غيرهما أخرجه من مظانه، وأحكم عليه مستعيناً بحكم العلماء.
٣- توثيق ما أنقله من نصوص بوضع النص المنقول بين علامتي تنصيص « »، مع الإحالة إلى مصادره في الحاشية. فإن تصرفت فيه نبهت على ذلك في الحاشية.
٤- ترجمة الأعلام ترجمة موجزة- عند ورود ذكرهم لأول مرة – عدا المشهورين ، ومن كان حياً من العصريين إن ذكروا.
٥- وضعُ ثبت للمصادر والمراجع في ختام البحث.

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله،وفي إبراز شيء من هداياته،

وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## التمهيد:

## التعريف بسورة الأحزاب:

### أولاً:اسم السورة:

هذه السورة تسمى بسورة الأحزاب،وقد وردت هذه التسمية في بعض الآثار، فعن زِرٍّ بن حبيش قال:قال لي أُبي بن كعب ﷺ:كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها ؟ قال: قلت: ثلاثا وسبعين آية: فقال: قَط! لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ،ولقد قرأنا فيها:«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله،والله عزيز حكيم».(١)

وعن حارثة بن مضرِّب قال:كتب إلينا عمر بن الخطاب ﷺ:« أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور ». (٢)

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٥/ ١٣٤)،والنسائي في السنن الكبرى،كتاب الرجم، باب نسخ الجلد عن الثيب (٤/ ٢٧١)، برقم (٧١٥٠)،والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٠) كتاب التفسير،تفسير سورة الأحزاب، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسن إسناده ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٧٥)، وزر بن حبيش بن حباشة الأسدي: تابعي،أدرك الجاهلية والإسلام،ولم ير النبي ﷺ ،كان عالماً بالقرآن،توفي (٨٢هـ)،ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٨٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٣٢١)،وأُبي بن كعب الأنصاري، من أجلاء الصحابة،وسيد القراء شهد المشاهد كلها، توفي (٢٠هـ)،ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر(١/ ٢٧)، الإصابة لابن حجر(١/ ٣١).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائله (٢/ ٤٤)، وحارثة بن مضرب العبدي الكوفي، قيل إنه أدرك النبي ﷺ ، روى عن عمر وغيره،ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير =

وهذه التسمية هي المثبتة في المصاحف وكتب التفسير، ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه تسميتها بذلك ذكر غزوة الأحزاب فيها، فإن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب [١] على حرب المسلمين، ولكن الله ﷻ ردَّهم مدحورين وكفى المؤمنين القتال.[٢]

## ثانياً: نوع السورة:

سورة الأحزاب مدنية، حكى الإجماعَ على ذلك جمع من المفسرين.[٣] وقد دل على ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:« نزلت سورة الأحزاب بالمدينة ».[٤]

ومن تأمل آياتها جزم بأن السورة مدنية ، لما فيها من خصائص السور المدنية حيث جاء فيها الحديث عن غزوة الأحزاب ( الخندق) وقد وقعت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، ثم حصار بني قريظة الذين ظاهروا

= (١/ ٦٥٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٦٦).

(١) غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان بطن متسع كثير الشعوب والبطون، منازلهم مما يلي وادي القرى وجبل طيىء،ينظر:جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٤٨، وبنو قريظة:قبيلة من يهود خيبر،وقد دخلوا في العرب. ينظر: أسماء القبائل وأنسابها للقزويني ص٢٣٠، وأوباش العرب: جموعها، ينظر:لسان العرب (٦/ ٣٦٧).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٥١٠)،التفسير المنير د.وهبة الزحيلي (٢١/ ٢٢٥)،

(٣) ينظر:المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٦٧)، التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٧٦).

(٤) ينظر:الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٢١٢

المشركين ثم قتالهم، وقد وقع بعد وقعة الأحزاب، وذكر شيء من أحوال المنافقين وإيذائهم النبي ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها، وذكر بعض التشريعات المتعلقة بالنبي ﷺ كإحلاله الزواج بأكثر من أربع والموهوبة، وجواز القسم بين نسائه،وإبطال التبني، وإبطال تحريم مطلقة الابن الدَّعي على من تبناه. (١)

**ثالثاً:مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه اتصال هذه السورة بما قبلها وهي سورة السجدة تشابه مطلع هذه السورة ومقطع سورة السجدة ، فإن سورة السجدة ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم ،قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾،(٢) وهذه السورة بدئت بأمره ﷺ بالتقوى والإعراض عن الكافرين والمنافقين وعدم طاعتهم، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾.(٣)

**رابعاً:مقصد السورة :**

مقصد السورة نصرة النبي ﷺ وتأييده بالأمر بالثبات على تقوى الله ﷻ ولزوم طاعته وتأدية واجبات رسالة ربه ﷻ على أكمل وجه ، مع الحذر

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٩٤-١١٨)،وينظر:صفوة التفاسير (٢/ ٥٠٩)، التفسير المنير (٢١/ ٢٢٦)

(٢) سورة السجدة، الآية (٣٠).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (١)،وينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٥/ ٢٧٣)، تناسق الدرر للسيوطي ص١١٢

من أن يفسد عليه أعداؤه من الكافرين والمنافقين دعوته ، وهذا النصر والتأييد يتمثل في النقاط التالية:

١) نصرتُه ﷺ على قوى البغي والشر الذين تحزبوا حول المدينة لقتاله وتأييدُهُ بجنود من الله ﷻ .

٢) نصرته وتأييده ﷺ بدفع أذى أعدائه من اليهود والمنافقين وخذلانهم وكشف عوار المنافقين ، وتسليطه ﷺ على اليهود بإخراجهم من المدينة.

٣) تأييده وإعزازه ﷺ بما ورد في السورة من أوصاف حميدة وصف بها ﷺ وخصائص جليلة لم تكن لغيره ، وأمر الأمة بالقيام بحقوقه ووجباته ﷺ.(١)

**خامساً:أبرز موضوعات السورة:**

اشتملت هذه السورة على موضوعات عديدة ، ففيها أحكام تشريعية،وآداب إسلامية، ودروس وعبر، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: تعرضت السورة الكريمة إلى بعض الأحكام التشريعية مثل حكم الظهار، والتبني ، والإرث، والطلاق والعدة ، وتعدد زوجات النبي ﷺ الطاهرات والحكمة منه ، وفرضية الحجاب على نساء المؤمنين وبيان الحكمة منه ، وغير ذلك.

ثانياً: تعرضت السورة الكريمة إلى بعض الآداب الاجتماعية من توقير النبي ﷺ وتبجيله والحذر من إيذائه أو إيذاء المؤمنين، واحترام أمهات

---

(١) ينظر: تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص٣.

المؤمنين وتوقيرهن وعدم نكاحهن،وكآداب دخول بيوت النبي ﷺ وآداب الوليمة،وإبطال التبني بالقول والفعل بإيراد قصة النبي ﷺ وزواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد طلاقها من زيد بن حارثة رضي الله عنه.

ثالثاً: تحدثت السورة بالتفصيل عن غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) ،فبدأت بتذكير المؤمنين بنعمة النصر، حيث تكالبت عليهم قوى البغي والشر من كفار مكة وغطفان وبني قريظة وأوباش العرب من الخارج، وتمالأ عليهم المنافقون من الداخل ، فكان ذلك امتحاناً شديداً من الله للمؤمنين ، فانكشف الغطاء عن خفايا المنافقين وطويتهم ، من الخيانة والمكر والتخذيل والكيد للإسلام وأهله ، وعن اليهود ونقضهم العهد ، فكان النصر من الله لنبيه ﷺ والمؤمنين على أعدائهم بإرسال الريح والجنود ، فكانت تلك معركة مليئة بالدروس والعبر والتوجيهات.

رابعاً: ختمت السورة الكريمة ببيان عظم أمانة التكليف وثقلها، وأنها ناءت بحملها السموات والأرض والجبال ، ثم حملها هذا الإنسان بضعفه وجهله، وأن الله عز وجل سيجازي كل عامل بعمله. [1]

(١) ينظر: صفوة التفاسير (٢/ ٥٠٩)،تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص٧

## المبحث الأول: صفة النبوة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.(١)

افتتح الله ﷻ سورة الأحزاب بنداء نبينا محمد ﷺ موصوفاً بصفة النبوة التي هي من أجل صفاته ﷺ وأكملها، وأرفع مقاماته. وذلك إشارة إلى أن الهدف من سياق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ.

والنبوة من النبأ وهو الخبر،أو النَّبْوَة بمعنى الرفعة والعلو،أو النبي وهو الطريق، لأنها طريق موصلة إلى الله ﷻ.(٢)

والنبوة الشرعية « خبر خاص يكرم الله به أحداً من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد».(٣)

وقد ورد وصف نبينا محمد ﷺ بالنبوة في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة،(٤) منها ثنتا عشرة في سورة الأحزاب، وأما نداؤه ﷺ بوصف النبوة فقد

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٢) ينظر:معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٨٤ ، ٣٨٥)، لسان العرب (١/ ١٦٢-١٦٣) مادة(نبأ).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٤٩).

(٤) وذلك في سورة آل عمران، الآية (٦٨)، وفي الأعراف،الآيتان): ١٥٧، ١٥٨)،وفي الأنفال، الآيات: (٦٤،٦٥،٧٠)، وفي التوبة، الآيات: (٦١،٧٣،١١٧)، وفي الأحزاب، الآيات: (١، ٦، ١٣، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٤٥، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٥٩) ، وفي الحجرات، =

ورد في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة [1]،خمسٌ منها في سورة الأحزاب، جاءت لأغراض متنوعة تتعلق بالتشريع بعضها خاص به ﷺ ، وبعضها عام يتعلق به وبغيره،ولعلي أقف مع نداءاته ﷺ الواردة في هذه السورة ونتأملها:

**النداء الأول**: ما ورد في بيان واجبات رسالة نبينا محمد ﷺ نحو ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[2]

وافتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ وندائه بوصف النبوة إشارة إلى أن الأهم من سياق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ ، وأن الهدف الأساس منها هو بيان واجبات رسالة النبي ﷺ وتأديتها على أكمل وجه ، مع الحذر من أن يفسد عليه أعداؤه من الكافرين والمنافقين دعوته، وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال. [3]

وأمرُهُ ﷺ بتقوى الله ﷻ التي حقيقتها امتثال أوامره واجتناب نواهيه

---

= الآية:(٢)، وفي الممتحنة، الآية:(١٢)، وفي الطلاق، الآية: (١)، وفي التحريم الآيات: (١،٣،٨،٩) .

(١) وذلك في سورة الأنفال، الآيات:(٧٠،٦٤،٦٥)، وفي التوبة، الآية:(٧٣)، وفي الأحزاب، الآيات: (١،٢٨،٤٥،٥٠،٥٩)، وفي الممتحنة، الآية: (١٢)، وفي الطلاق، الآية: (١)، وفي التحريم الآية(١،٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٢٤٩).

يقصد به المداومة والثبات عليها، وهو أمر له ولأمته بطريق الأولى. (١)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:« هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فَلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى ». (٢)

ولما أمره ﷺ بتقواه أتبعه بالنهي عن الالتفات إلى أعدائه من الكافرين والمنافقين فقال ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾، وذلك لأن تحقيق هذا النهي من صميم التقوى، فاجتماع الأمر بالتقوى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين ، واستهلال السورة بذلك يشعر بأنَّ تشريعاً عظيماً سيُلقى إليه لا يخلو من حرج عليه فيه، وأنه سيَلقى مطاعنَ من الكافرين والمنافقين. (٣)

**النداء الثاني: ما جاء بقصد التنويه بمقام أزواجه ﷺ.**

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤) .

هذه الآية تسمى بآية التخيير، تخيير نسائه ﷺ بين ملك الدنيا ونعيم

(١) ينظر:الكشاف (٣/ ٥١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٧٥).

(٣) ينظر: التفسير الكبير(٢٥/ ١٩٠)، نظم الدرر (١٥/ ٢٧٥)، التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٠).

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان (٢٨،٢٩).

الآخرة، ولقد اخترن رضي الله عنهن جميعاً اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة .

وافتتاح الآيات بندائه ﷺ بوصف النبوة تشريف له وتكريم، وهذا النداء الثاني في هذه السورة، ووجه ارتباطه بالنداء الأول الذي افتُتحت به السورة هو أن فضائل الأخلاق تكاد تنحصر في شيئين: التعظيم لأمر الله ﷻ وهو المتمثل في النداء الأول، والشفقة على الخلق، وقد بدأ فيه بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة،(1) فجاءت الآية مبينة تحديد سيرة أزواجه رضي الله عنهن معه ﷺ بما يتناسب مع مرتبة النبوة « فأمره الله ﷻ بأن يُخيّر نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة».(2)

وإنما وجّه الخطاب في هذه الآيات لأزواج النبي ﷺ إظهاراً لفضلهن، وعظيم قدرهن عند الله تعالى،ورفعةً لمرتبتهن لقربهن من النبي ﷺ ولأنهن أزواجه في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله. (3)

**النداء الثالث: ما يتعلق بشؤون رسالته:**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

(1) ينظر: التفسير الكبير( ٢٥/ ٢٠٥).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٠١).

(3) ينظر:تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٦٦٢، تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص٦٤

﴿ إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.(١)

هذا هو النداء الثالث لنبينا محمد ﷺ في هذه السورة ، وذلك بعد أن أمره ﷻ في النداء الأول بما يكون عليه مع ربه، ثم بما يكون عليه مع نسائه أمره هنا بما ينبغي أن يكون عليه مع عامة الخلق. (٢) وافتتاح الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة تشريف له وتكريم ، وإشارة إلى بيان مهمته في رسالته التي بعثه الله بها إلى الخلق ، ثم وُصف بالشهادة بأنه شاهد لمن صدَّقه، وعلى من كذَّبه ، ثم بالبشارة ، بأنه يبشر من آمن به بما يسرهم في الدارين ، ثم بالنذارة، بأنه ينذر من كفر وعصى بالوعيد الشديد والعذاب في النار ، ثم بالدعوة ، بأنه يدعو الخلق إلى عبادة ربهم بأمره وقدرته ، ثم بالسراج المنير الوقَّاد المضيء للخلق يستضيئون بالنور الذي جاء هم به من عند الله، وباتِّباعه ﷺ والاقتداء بسنته. (٣)

**النداء الرابع: ما يتعلق بأحكام تزوّجه ﷺ:**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥،٤٦).

(٢) ينظر: التفسير المنير (٢٢/ ٤٧).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧

أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.(١)

هذا النداء الرابع من النداءات التي نودي بها نبينا محمد ﷺ في هذه السورة بوصف النبوة تشريفاً له وتكريماً ، حيث افتُتحت الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة ليرتب عليه ما أُبيح له من النساء توسعة عليه وتيسيراً له في تبليغ الرسالة ، وهن على وجه الإجمال:أربعة أصناف: أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، وما أحل له من الإماء من السبي مما فتح الله عليه، ثم ما أحل من الأقارب من بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات ممن هاجرن معه، وهو قيد، دون من لم تهاجر لأن الهجرة شرف عظيم ومنقبة كبرى، ثم ما أحل له من نكاح الهبة الذي خُص به دون غيره من المؤمنين توسعة عليه وتيسيراً له. (٢)

**النداء الخامس: ما ورد في تبليغه ﷺآداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات :**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣)

هذا النداء الخامس من النداءات التي نودي بها نبينا محمد ﷺ بوصف

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٢) ينظر :تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٤١)،إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٢٥) .

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٩).

النبوة تشريفاً له وإجلالاً لقدره،حيث افتُتحت الآية بندائه ﷺ بوصف النبوة وذلك ليشعر أنَّ ما بعده أمر عظيم من أمور الشريعة ينبغي الاهتمام به وتبليغه للأمة، وهو ما فرضه الله من الحجاب على النساء بأن يسدلن عليهن ما يسترهن من اللباس الشرعي الساتر لجميع الجسد، لما فيه من البعد عن مواطن الريب ومظان التُّهم وأذى الفساق .(١)

فبدأ بأزواجه بأمرهن بالحجاب لأن الغيرة عليهن أشد، ومسؤولية الزوج عنهن أعظم، ثم بناته لأن مسؤولية الوالد عن أولاده أعظم ،ثم عامة نساء المؤمنين.(٢)

فعلم مما تقدم عظيم وصف نبينا محمد ﷺ بالنبوة وأن ذلك تشريف له وإجلال لقدره، فعلينا نحن المسلمين توقيره وإجلاله ﷺ واحترامه وتوقير سنته قولاً وفعلاً وامتثالها في حياتنا.

(١) ينظر:التفسير الكبير (٢٥/ ٢٣٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ١٥٦).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٧١

## المبحث الثاني: صفة الرسالة.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١).

وصف الله نبينا محمداً ﷺ في هذه الآية ونحوها بوصف الرسالة وأنه رسول الله وأن رسالته خاتمة لجميع الرسالات.

والرسالة من أجل صفاته، وهي مشتقة من الرِّسل، وهو الانبعاث على تؤدة ، يقال: ناقة رِسْلَة ،أي:سهلة السير،ويقال على رِسْلك ،أي:رفقاً، فلفظ الرِّسل يتضمن الانبعاث والرفق،وكلاهما متحقق في معنى الرسول، وهو يدل عليهما فالرسول هو المبعوث من قبل الله ﷻ وأن رسالته جاءت لإنقاذ الخلق رفقاً بهم. (٢)

وكما وصف الله ﷻ نبينا محمداً ﷺ بصفة النبوة وناداه بها كذلك وصفه بصفة الرسالة وناداه بها، فالنبوة والرسالة صفتان جمع الله تعالى بينهما لنبينا محمد ﷺ.

والنبوة والرسالة بينهما خصوص وعموم فكل رسول نبي ولا عكس، وأحسن ما قيل في الفرق بينهما ما اختاره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أن النبي من يعمل بشريعة من قبله والرسول هو الذي يأتي بشرع جديد. (٣)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٩٥ (رسل).

(٣) ينظر: النبوات لابن تيمية ص٦٦

وقد وُصف نبينا محمد ﷺ بالرسالة ونـودي بها في مواضع عديدة من كتاب الله ﷻ، حيث ورد وصفه ﷺ بالرسالة في القرآن الكريم في أكثر من مائتي موضع، معرفاً ومنكراً ومضافاً ومجرداً عن الإضافة [١]، مما يدل على عظم هذا الوصف وأهميته،أربع عشرة منها في سورة الأحزاب[٢].

وأما نداؤه ﷺ بوصف الرسالة فقد ورد في القرآن الكريم في موضعين في سورة المائدة[٣]، ولم يرد نداؤه بوصف الرسالة في سورة الأحزاب البتة، بل جاء وصفه ﷺ بالرسالة في سورة الأحزاب في مواضع متعددة ولأغراض متنوعة على النحو التالي:

**أولاً**: جاء وصفه ﷺ بالرسالة في الأمر بالتأسي به والاقتداء بشمائله،قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٤].

والآية جاءت في سياق ما جرى في غزوة الأحزاب ، وفي ثنايا عرض مواقف كل من المنافقين ومؤيديهم من رسول الله ﷺ ، والمؤمنين الصادقين، حيث أرشدت الآية إلى ضرورة التأسي به ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه وأحواله على وجه العموم، وفي صبره وجهاده وبذل نفسه وشجاعته وثباته ومقاساته الشدائد على وجه الخصوص.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس ص ٣١٤-٣١٨

(٢) وذلك في الآيات: (١٢،٢١،٢٢،٢٢،٢٩،٣١،٣٣،٣٦،٣٦،٤٠،٥٣،٥٧،٦٦،٧١).

(٣) وذلك في الآيتين:( ٤١،٦٧).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

ووصفه ﷺ في هذا المقام بصفة الرسالة تذكيراً للمؤمنين بمسارعة التأسي به ﷺ بأنه مرسل من عند الله ﷻ وأنه يوحى إليه، وأن أقواله وأفعاله وتصرفاته جميعاً بوحي من الله ﷻ الذي أرسله بالحق،وقد جاء عنه أنه قال: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ».(١)

وأنَّ مما يدفع إلى التأسي به ﷺ الرغبةَ والأملَ فيما عند الله ﷻ من الأجر والثواب بلقائه وجزائه، والإكثارَ من ذكره ﷻ في جميع الأحوال حباً لله وتعظيماً له، ولذا ربطت الآية بين التأسي برسول الله والإيمان بالله واليوم الآخر، فمن يرجو ما عند الله يحقق التأسي برسوله ﷺ.(٢)

ولذا بيّن موقف المنافقين ومؤيديهم، وكشف عن حالهم وطويتهم المرتابة بأن ما وعدهم الله ﷻ من النصر وظهور الدين، ورسولُه ﷺ الذين أُمروا باتباعه والتأسي به وعودٌ كاذبة لا حقيقة لها،فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾(٣) فوصفهُم النبيَّ ﷺ بصفة الرسالة التي تعني أنه لا يخبر إلا بحق لأنه يوحى إليه ، على سبيل الاستهزاء والتهكم، أي: رسولكم الذي تزعمون ويزعم ، ولو اعتقدوا أنه رسول من عند الله حقيقة ما قالوا تلك المقالة.(٤)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) قال شعيب الأرنؤوط:حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٠٢)، نظم الدرر(١٥/ ٣٢٢)،التفسير المنير (٢١/ ٢٧٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (١٢).

(٤) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٣٢٤)، التحرير والتنوير (٢١/ ٣٠٤).

ويأتي في المقابل موقف المؤمنين المصدقين بوعد الله ورسوله ،الذين أخلصوا القول والعمل،الذين عرفوا رسولهم ﷺ فتأسوا به في أقواله وأفعاله، وفي صبره وجهاده وثباته، قال الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(١) .

وذلك أن المؤمنين لما رأوا أحزاب الكفار واليهود والمنافقين قد تحزبوا لمقاتلة رسول الله والمؤمنين أجابوا بكل ثقة وثبات أنَّ ما هم فيه من البلاء والفتنة في مجابهة العدو ثم النصر القريب هو وعد الله الحق ورسوله ﷺ المؤيد بالآيات الذي لا ينطق عن الهوى في أخباره ووعوده ، وصدق الله ورسوله ، فكل ما شاهدوه وما نزل بهم من الرعب وما أُخبروا به من النصر القريب لم يزدهم إلا تصديقاً ويقيناً وانقياداً. (٢)

**ثانياً**: جاء وصفه ﷺ بالرسالة في وجوب تقديم قضاء الله وقضائه على كل أمر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(٣) .

أي: لا ينبغي ولا يصح ولا يليق بمن اتصف بالإيمان إلا أن يبادر إلى

(١) سورة الأحزاب، الآية ( ٢٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٣٢٥)، تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٠ ، التفسير المنير (٢١/ ٢٧٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ( ٣٦).

مرضاة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وأن يبعد عن سخط الله ورسوله، فلا يحل له إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل الواجب أن يذعن للقضاء، ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله ورسوله عليه.

وإنما جاء ذكر الله تعالى في الآية تعظيماً لأمره ﷻ،وذكر الرسول ﷺ موصوفاً بصفة الرسالة إشارة إلى أنه ﷺ بمنزلة من الله تعالى بحيث تُعدُّ أوامره أوامر الله، وقضاؤه قضاء الله، وأن ما يفعله ﷺ إنما يفعله بأمره ،لأنه رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى. (1)

فمن خالف أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ الذي أرسله الله لخلقه ليبلغهم عنه، فقد انحرف عن طريق الهدى والرشاد،ووقع في متاهات الضلال.

فذِكر الرسول ﷺ موصوفاً بصفة الرسالة في جانب المعصية إشارة إلى أن معصيته ﷺ معصية لله ﷻ لكونه بينه وبين خلقه في بيان ما أوحي إليه وأرسل إليهم. (2)

**ثالثاً**: جاء وصفه ﷺ بالرسالة في وجوب طاعته وامتثال أمره وثمرة ذلك.

وكما دلت الآية السالفة على أنَّ معصيته ﷺ معصية لله ﷻ، دلت آيات أخر من هذه السورة على أنَّ طاعته ﷺ وامتثال أمره طاعة لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾(3) والآية

(1) ينظر: فتح القدير (4/ 283)، روح المعاني (22/ 22).

(2) ينظر: نظم الدرر (15/ 356)، تفسير سورة الأحزاب للغزالي خليل عيد ص90

(3) سورة الأحزاب، الآية (33).

جاءت في سياق توجيه شيء من الآداب والأوامر والنواهي لأزواج النبي ﷺ ونساء المؤمنين ، ومنها الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله التي هي امتثال ما أمر به وترك ما نهى عنه.

والتصريح بصفة الرسالة لنبينا محمد ﷺ في مقام الأمر بطاعته دليل على أن طاعته ﷺ طاعة لله ﷻ لكونه بينه وبين خلقه في بيان ما أوحي إليه وأرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] .

بل جاء التعبير بما هو آكد من الطاعة وهو القنوت لله ولرسوله، إذ القنوت يعني لزوم الطاعة والاستمرار عليها،[2] قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[3] .

فالقنوت لله ﷻ قنوت عبادة وتذلل وخشوع وامتثال لما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ، والقنوت للرسول ﷺ قنوت طاعة له فيما يأمر به أو ينهى عنه.[4]

ويدخل في ذلك طاعة زوجاته له ﷺ ورضي الله عنهن بأداء حقوقه التي يجب عليهن وعدم مطالبته بما يشق عليه من النفقة ونحوها.

ثم أكد ذلك القنوت بالعمل الصالح بأن تعمل عملاً صالحاً خالصاً وموافقاً للشرع، وأنه إن امتثلن ذلك فإن الله بواسع فضله وعظيم إحسانه

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٠).

(٢) ينظر: المفردات ص٤٢٨ (قنت)

(٣) سورة الأحزاب، الآية ( ٣١).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٢٧)، روح المعاني (٢/ ٢٢).

يجازيهن ثواباً مضاعفاً، ويزيدهن الرزق الواسع المبارك، وإنما أسند فعل إيتاء أجرهن إلى ضمير الجلالة تشريفاً لإيتائهن الأجر، بخلاف العذاب في الآية قبلها: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾، [1] فلم يصرح به إشارة إلى كمال فضله وسعة رحمته، [2] فذكر الرسول ﷺ موصوفاً بصفة الرسالة في مقام الأمر بالقنوت له ﷺ يدل على أن طاعته طاعة لله، والقنوت له قنوت لله، لكونه بينه وبين خلقه في بيان ما أوحي إليه.

وفي آية تخيير النبي ﷺ نساءَه رضي الله عنهن بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة، وقد اخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [3] يأتي التصريح بذكر الرسول ﷺ موصوفاً بصفة الرسالة في تخييرهن فاخترن البقاء مع رسول الله الذي ائتمر بأمر الله وبلَّغ ما أمره الله به عبادَه، لكونه بينه وبين خلقه في تبليغ ما أوحي إليه.

وجاء التصريح أيضاً بذكر الرسول ﷺ في السورة موصوفاً بصفة الرسالة في سياق تحسُّر الكفار وتندمهم غير المفيد بأنهم لو أطاعوا الله فيما أمرهم به وأطاعوا الرسول ﷺ الذي أرسل إليهم بما أوحي إليه، وفي هذا دلالة على أن طاعته ﷺ طاعة لله ﷻ لكونه بينه وبين خلقه في بيان ما أوحي

---

(١) الآية (٣٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٥)، منحة الكريم الوهاب ص٥٢

(٣) سورة الأحزاب، الآية ( ٢٩).

إليه وأرسل إليهم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾(١).

كما جاء التصريح بصفة الرسالة لنبينا محمد ﷺ في مقام الأمر بطاعة الله، وطاعة الرسول في بيان ما تحققه تلك الطاعة من سعادة في الدارين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢).

**رابعاً**: جاء وصفه ﷺ بالرسالة في نفي أبوّته لأحد و بيان أنه خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٣).

وقد سيقت الآية للرد على توهُّم من توهَّم أن يكون النبي ﷺ أبا أحد من الرجال ولادة ونسباً، لأن أبناءه ماتوا صغاراً، أو ادعاءً وتبنياً، حيث كان ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه، فليس ﷺ أباً على الحقيقة لأحد من الرجال، ولكن رسول الله، أرسله ليبلغ رسالته للناس، وهو خاتم النبيين وآخرهم، وبرسالته ختمت الرسالات فلا نبي بعده، فلذا وصف ﷺ بصفة بالرسالة في هذا المقام لإثبات أنه مرسل من عند الله عز وجل يوحى إليه وأنه عز وجل أرسله للناس مبلغاً عنه وأن طاعته وتعظيمه واجب عليهم.(٤)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٦)، وينظر: التفسير المنير (٢٢/ ١١٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٧١)، وينظر: منحة الكريم الوهاب ص٢٥٢

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٨)، التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٤).

**خامساً**: جاء وصفه ﷺ بالرسالة في التحذير من إيذائه بأي نوع.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

فتصريح الآية بوصف نبينا محمد ﷺ بصفة الرسالة في مقام تحريم إيذائه بأي وجه فيه دلالة واضحة على عظم هذا الأمر عند الله ﷻ لأنه ﷺ رسوله المبعوث من عنده الموحى إليه المؤيد بالدلالات والمعجزات،وأن من آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله.

قال ابن سعدي: « فأذيته ﷺ ليست كأذية غيره، لأنه ﷺ لا يؤمن العبد بالله حتى يؤمن برسوله ﷺ ،وله من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان ما يقتضي ذلك أن لا يكون مثل غيره».[2]

وقال الطاهر ابن عاشور: « والقرن بين أذى الله ورسوله للإشارة إلى أن أذى الرسول ﷺ يُغضب الله تعالى فكأنه أذى لله ».[3]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧١ وابن سعدي عبدالرحمن بن ناصر السعدي من علماء القصيم برع في فنون شتى وألف مؤلفات عديدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ، ينظر: مشاهير علماء نجد للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ ص٢٩٢، معجم المفسرين عادل نويهض (١/ ٢٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠٤)،والطاهر ابن عاشور: من علماء تونس ولد ونشأ بها، ودرّس في جامع الزيتونة، له عدة مؤلفات ، توفي:(١٣٩٣هـ)،ينظر:الأعلام (٦/ ١٧٤)،معجم المفسرين (٢/ ٥٤١).

ولذا جاء الوعيد الشديد لهم بالطرد والإبعاد من رحمته في الدنيا والآخرة وبالعذاب المهين لأن الذي دفعهم إلى الإيذاء هو الاستهانة والاحتقار فأُهينوا بالعذاب المهين . (١)

بل جاء النهي عن إيذاء الرسول ﷺ بأسلوب أشد وأقوى وهو أسلوب النفي بأنه غير جائز ولا واقع من المؤمنين أن يؤذوا نبيهم بأي نوع من أنواع الأذى في أي وقت من الأوقات، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾(٢) .

فوصف النبي ﷺ بصفة الرسالة في هذين الموضعين للتحذير من أذيته، وللتعظيم من شأنه، والإجلال من قدره، وأنه أرسل من عند الله ﷻ يوحى إليه ويبلغ ما أرسل به إليهم.

قال البقاعي: « وذكَّرهم -أي المؤمنين- بالوصف الذي هو سبب لسعادتهم واستحق به عليهم من الحق ما لا يقدرون على القيام بشكره فقال: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ﷺ ،أي: الذي له جميع الكمال فله إليكم من الإحسان ما يستوجب منكم به غاية الإكرام والإجلال ، فضلاً عن الكف عن الأذى ».(٣)

---

(١) نظم الدرر (١٥/ ٤١٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٣) نظم الدرر (١٥/ ٣٩٤)، والبقاعي: إبرهيم بن عمر بن حسن، مؤرخ مفسر محدث، ولد =

فوصف نبينا محمد بوصف الرسالة حتى نعلم جميعاً أن أفعاله وأقواله وتقريراته كلها تنبعث عن كونه رسولاً يوحى إليه قائماً بحق الرسالة، فعلينا أن نستحضر وصف الرسالة ونفهم كونه رسول الله وأن نتأسى به في حياتنا وفي جميع أحوالنا.

= ونشأ بالبقاع، وسكن دمشق توفي بها :(٨٨٥هـ)،ينظر:البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩)، التاج المكلل لصديق خان ص٣٥٨.

## المبحث الثالث: صفة التبليغ .

التبليغ من بلَّغ بلاغاً وتبليغاً، إذا أوصله الأمر وانتهى، والتشديد للكثرة، وبالغ في الأمر مبالغة ، وبلاغاً: إذا اجتهد في إيصاله ولم يألُ فيه. (١)

والرسولُ هو من يوحى إليه بتبليغ أمر ما وإيصاله إلى البشر، ولا يعرف وحي الله وشرعه لعباده إلا بواسطته،فليس ثمة سبيل يعرف به شرع الله وأحكامه وفرائضه إلا سبيله. ونبينا محمد ﷺ من أجل صفاته صفة التبليغ عن الله تعالى، فكان أحرص الناس بلاغاً لرسالة ربه وهداية الناس.

وإذا تأملنا في آيات سورة الأحزاب وجدنا أن نبينا محمداً ﷺ قد وصفه الله ﷻ بصفة التبليغ وبأنه مبلغ للوحي ولرسالة ربه ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾(٢).

ففي الآية امتداح من الله تبارك وتعالى للذين يبلغون رسالته إلى خلقه ويؤدُّونها بأمانة ولا يخافون أحداً سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، وسيدُ المرسلين في هذا المقام، بل وفي كل مقام أشرفهم وأفضلهم فإنه قام بتبليغ الوحي فأدى رسالة ربه ونصح أمته وجاهد في الله حق جهاده ، وأظهر الله كلمته وشريعته على جميع الأديان والشرائع . (٣)

وقد أمر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٠١)، لسان العرب (٨/ ٤١٩)،(بلغ).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٣) ينظر:تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٧).

يبلغ ما أوحي إليه البلاغ المبين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١) ، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(٣) .

فهذا أمر من الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ وحث على تبليغ ما أوحي إليه وما أنزل إليه، وقد امتثل ﷺ أمر ربه فبلغ أكمل تبليغ بقوله وفعله ، بل حرص غاية الحرص على إبلاغ ما أوحي إليه دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من حدَّثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾»(٤).

وجاء عنها رضي الله عنها أنها قالت: « لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ »(٥).

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٢) سورة النحل، الآية (٨٢).

(٣) سورة الشورى، الآية (٤٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٨٥)،كتاب التفسير باب (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)، برقم (٤٣٣٦) .

(٥) وهي الآية (٣٧) من سورة الأحزاب ، وقد روى هذا الأثر الطبري في تفسيره (١٣/٢٢).

وقد جاءت هذه الآية لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من جعلهم الدَّعي في حكم الابن،وتحريم زوجة الدَّعي على من تبناه، وأنَّ ما أخفاه النبي ﷺ هو أنه لو طلقها زيد بن حارثة ﷺ لتزوجها ﷺ.

قال ابن القيم: « وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس: أنه تزوج امرأة ابنه، لأن زيداً كان يُدعى ابنه، فهذا الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له، ولهذا ذكر -سبحانه وتعالى- هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه، لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحق أن يخشاه فلا يتحرج مما أحله له لأجل قول الناس ».[1]

ففي هذه الآية دلالة واضحة على أن النبي ﷺ موصوف بأنه بلغ ما أوحي إليه البلاغ المبين مراقباً الله وحده في ذلك لا يخشى لومة لائم.

ومن خلال معرفة صفة التبليغ لنبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب فإننا ندرك أن الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئًا مما أوحي إليه إلا وبلغه، حتى ما تعلق في عتابه، وهذا يدل على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحي إليه، ولا يريد تعظيم نفسه.[2]

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٦٦)، وابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، من علماء الحنابلة وممن تتلمذ على شيخ الإسلام ،توفي (٧٥١هـ)، ينظر:طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٩٣)، كتاب ابن قيم الجوزية حياته وآثاره د.بكر أبو زيد ص٧

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٥

## المبحث الرابع: صفة الخشية.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1].

صفة الخشية من الصفات الجليلة والشمائل الكريمة التي وصف بها نبينا محمد ﷺ في سورة الأحزاب، وأنه ﷺ كان أشد الناس خشية لربه ﷻ،وأنَّ هذه الصفة من الصفات الثابتة له ﷺ ، فقد جاء عنه أنه قال: « أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له».[2]

وخشية الله ﷻ صفة جليلة ، من أجل مقامات الدين وأعظمها،وأجمع أنواع العبادة.

وقد عُرِّفت بأنها:خوف يشوبه تعظيم ، وأكثره يكون عن علمٍ بما يخشى منه،وهي أخص من الخوف، لأنها خوف مقرون بمعرفة.[3]

والخشية أساس طالب العلم، فعلامة العلم خشية الله تعالى، لأن الخشية تدفع إلى العمل بالعلم، حتى قال بعض السلف: « الخشية أن تخشى الله ﷻ حتى تحول خشيته بينك وبين معصية الله ».[4]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٢٩) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح،برقم (٥٠٦٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) ينظر:المفردات ص ١٤٩ التعريفات للجرجاني ص١٣٣(مادة خشي)، وينظر:مدارج السالكين (١/ ٥١٢)

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٤٥) عن سعيد بن جبير رحمه الله.

ولهذا خص الله العلماء بها فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[(١)].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: « إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ـ كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر ». [(٢)]

وفائدة تقديم المفعول - لفظ الجلالة (الله)- في الآية هو حصر الفاعلية، أي: أن الله تعالى لا يخشاه إلا العلماءُ ، ولو قُدم الفاعل لاختلف المعنى ولصار: لا يخشى العلماءُ إلا اللهَ، وهذا غير صحيح فقد وُجد من العلماء من يخشون غير الله،[(٣)]

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الآية: « وهذا يدل على أن كل من خشي الله فهو عالم، وهو حق ، ولا يدل على أن كل عالم يخشاه ».[(٤)]

هذا وإذا تأملنا آية الخشية التي جاء فيها وصفُ نبينا محمد ﷺ في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[(٥)]، وجدناها قد سيقت على سبيل الامتداح من الله ﷻ لرسله الكرام الذين قاموا بمهمتهم من تبليغ

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٤٤).

(٣) ينظر:أنوار التنزيل (٢/ ٢٧٢) ، فتح القدير (٤/ ٣٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٩ ).

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٣٩).

رسالات ربهم وشرائعه للناس من غير تقصير، وأنهم أدَّوا ذلك بأمانة،وهم يخشون ربهم حق خشيته، فيراقبونه في أقوالهم وأعمالهم ، ويحذرونه ،لأنهم يعرفون عظمته ﷻ فيعظمونه حق التعظيم ، ولا يخافون أحداً سواه ، فلا يخشون أحداً في تبليغ رسالات ربهم ، وسيدُ الناس في هذا المقام ، بل وفي كل مقام وأشرفهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ، فإنه قام بمهمته من تبليغ الوحي فأدى رسالة ربه ، ونصح أمته، وجاهد في الله حق جهاده ، وهو يخشى ربه ويراقبه ، ويعظمه حق التعظيم،ولا يخشى أحداً سواه. [(١)]

ولما كانت خشية الله ﷻ ومراقبته حذراً من محاسبته ومجازاته ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾، أي: يكفي أن يكون الله ﷻ محاسباً عباده، مراقباً أعمالهم ، وكافياً من أراد كفايته ، فهو الذي له الخشية وحده.[(٢)]

ففي الآية ثناء من الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ بكونه موصوفاً بالخشية، وأنه أشد الناس خشية لربه ، فيراقبه في أقواله وأعماله فهو ﷺ أعلم الناس بربه، وأشدهم له تعظيماً وتبجيلاً.

ولما خشي النبي ﷺ الناس وتحرج منهم في شيء قد أباحه الله له ، وهو زواجه من مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهي زينب بن جحش رضي الله عنها[(٣)]، فخشي أن يقول الناسُ: تزوج محمد حليلة ابنه، أعلمه الله ﷻ أنَّ

(١) ينظر:تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٧).

(٢) ينظر:نظم الدرر (١٥/ ٣٦٢) ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٦

(٣) زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين، أمها عمة النبي ﷺ ، تزوجها النبي بعد طلاقها من زيد رضي الله عنه سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة (٢٠هـ)، ينظر:الاستيعاب (٤/ ٣٠٦)، =

الأولى بالخشية والأحق بها هو الله ، فقال: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ (١).

وهذه الآية جاءت لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من أن الأدعياء في حكم الأبناء وأن أزواجهم لا يحل لمن تبناهم نكاحهن ، فأحلت أزواج الأدعياء لمن تبناهم نكاحهن.

فالخطاب في الآية للنبي ﷺ ، والمنعَم عليه هو زيد بن حارثة ﷺ ، أنعم الله ﷻ عليه بالإسلام وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق ، قال له النبي لما جاءه يستأذنه في فراق زوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها: أبق عليك زوجك ولا تطلقها ، واتق الله، وقد أخفى النبي ﷺ ما أُوحي إليه من أنه سيتزوجها بعد فراق زيد لها ، والله ﷻ مظهر ما أخفاه النبي ﷺ مخافة قالة الناس أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى وحده هو الأحق بالخشية ، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجها الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ،ليكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها. (٢)

= الإصابة (٤/ ٣٠٧)، وزيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، تبناه النبي ﷺ وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت الآية ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ شهد بدراً وما بعدها واستشهد في غزوة مؤتة،ينظر: الاستيعاب (١/ ٥٢٥)،الإصابة (١/ ٥٤٥).

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

(٢) ينظر:أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٥٤٢)، فتح القدير (٤/ ٢٨٤)،تيسير الكريم =

فالأحق بالخشية هو الله ﷻ ، وهو الأجل في أن يراقبه العباد في أقوالهم وأفعالهم ، ويحذروه ، ويقدموا خشيته على خشية غيره من الخلق ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[1]، وقال: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] .

فهذا التوجيه من الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ بأن يكون متصفاً بالخشية لربه ،والتي هي من أعلى المقامات وأشرفها وأسمى الصفات وأعلاها، وأنه يجب أن يقدم خشية ربه ﷻ في كل الأحوال والأزمان على خشية الناس، فكان نبينا محمد ﷺ أول الممتثلين أمر ربه ، المسارعين للاستجابة له، بصيراً بأمر دينه ، مداوماً على عبادة ربه ، متصفاً بخشيته في كل أحواله ﷺ. فعلى المسلم أن يتخلق بهذا الخلق وأن يتصف بصفة الخشية التي هي من أجل صفات نبينا محمد ﷺ وأن يخشى الله حق خشيته فيكون ذلك دافعاً له في المسارعة للعمل الصالح والاستمرار على طاعة الله حتى الممات والحذر من كل معصية وآثارها السيئة .

---

= الرحمن ص٦٦٥

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٤).

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٣).

## المبحث الخامس :صفة الحياء

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[١] .

الحياء من الصفات الجليلة والشمائل الكريمة التي وصف بها نبينا محمد ﷺ في سورة الأحزاب، فهو ﷺ أكمل الناس حياءً ، وأعظمهم اتصافاً به،وأشدهم تمسكاً ، فقد ورد أنه كان ﷺأشدَّ حياءً من العذراء في خِدرها،[٢]

وحقيقة الحياء: خُلُق يبعث على فعل كل مليح ، وترك كل قبيح. [٣]

فالحياء خلق رفيع ، يحمل صاحبه على تجنب القبائح والرذائل، ويأخذ بيده إلى فعل المحاسن ، وهو مجمع الفضائل ، ورأس مكارم الأخلاق ، وزينة الإيمان، يدعو إلى كل فضيلة ، ويرشد إلى كل خلق [٤]، ولذا جاء في

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٠٦) كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ،برقم (٣٣٦٩) ،ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٩) كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ برقم (٢٣٢٠).

(٣) ينظر :الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٣٩). ).

(٤) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٨٥)،الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٣٩).

الحديث: « إنَّ لكل دين خُلُقاً، وخُلُق الإسلام الحياء».[(١)]

وهذه الآية التي بين أيدينا كان سبب نزولها هو ما جاء في قصة زواج النبي ﷺ بـ زينب بنت جحش رضي الله عنها، فبعد أن تناول الصحابة رضي الله عنهم طعامهم تفرق أكثرهم، وبقي ثلاثة منهم في البيت يتحدثون، والنبي ﷺ يرغب في خروجهم،ولكن لشدة حيائه ﷺلم يقل لهم شيئاً،وتركهم وشأنهم،حتى تولى الله ﷻ بيان ذلك، فأنزل عليه الآية.[(٢)]

فالآية الكريمة تبين ما كان عليه نبينا محمد ﷺ من الخلق الرفيع والأدب الجم وأنه ﷺ أكمل الناس حياءً ، وأعظمهم اتصافاً به ،وأشدهم تمسكاً ، فقد كره ﷺ صنيع بعض أصحابه، وكره أن ينهاهم عن ذلك ، أو يأمرهم بالانصراف ، وذلك لشدة حيائه ﷺ ، ولخلقه الرفيع ، وقلبه الرحيم ، فسجل له القرآن هذا الخلق: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾ .

فالآية فيها ثناء على النبي ﷺ بأنه شديد الحياء منعه خُلُقُه الكريم أن يقابلهم بما يكرهون مهما بلغ به الضرر، بل لا يصدر منه إلا ما يسرهم .[(٣)]

ومما ورد في السورة من حيائه ﷺ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٩)كتاب الزهد،باب الحياء برقم (٣٣٩٠) عن ابن عباس ﷺ،وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٨٩ ).

(٢) روا البخاري في صحيحه(٤/ ١٧٩٩) كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب (٤٥١٤) ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٤٦) كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش (١٤٢٨)، عن أنس ﷺ.

(٣) ينظر:روائع البيان (٢/ ٣٤٢)، التفسير المنير (٢٢/ ٨٧).

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[١].

فشدة حيائه ﷺ جعله يخشي الناس في إخفاء ما أُوحي إليه من أنه سيتزوج بزينب بنت جحش رضي الله عنها بعد فراق زيد بن حارثة ﷺ لها، فأظهر الله ﷻ ما أخفاه النبي ﷺ مخافة قالة الناس أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه ، فوقع ذلك منه لخُلُقه الكريم،وحيائه الجم ، وبُعْده ﷺ عن كل ما ينتقص حسن فضائله ومكارم أخلاقه من سيء الفعال ، فكان ﷺ أكمل الناس حياءً ، وأعظمهم اتصافاً به ،وأشدَّهم تمسكاً به. [٢]

فالحياء من صفات نبينا محمد ﷺ الجليلة وشمائله الكريمة التي كان يتخلق بها ، وهو أسوتنا في هذا فلنقتد به في خلقه ولنتصف بهذا الخلق ولنعلم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٥

## المبحث السادس: صفة الولاية.

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(١) .

من الصفات الجليلة والأخلاق الفاضلة التي وصف بها نبينا محمد ﷺ في سورة الأحزاب ولايته على أمته في كل شيء من أمور الدين والدنيا وشدة نصحِهِ لها واهتمامِهِ بأمرها ومصالحها.

والولاية تعني: النصرة والتأييد والأحقية بالشيء والمتولي أمره وشأنه،(٢) وكلها يصدق عليها ذلك الوصف الوارد في الآية .

قال ابن كثير في تفسيره للآية:« قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحَه لهم،فجعله أولى بهم من أنفسهم،وحكمه فيهم مُقدَّماً على اختيارهم لأنفسهم».(٣)

ففي الآية التي بين أيدينا عظيم مكانة النبي ﷺ عند ربه ﷻ ،حيث بوَّأه هذه المنزلة، وفضَّله بها على سائر خلقه ، فجعله أولى بالمؤمن وأقرب من نفسه، وأبرَّ به منها، وأحب إليه منها من جميع الوجوه ، ولذا قال ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ،أي: على الإطلاق ولم يقيّد .

فهذه الولاية عامة في كل شيء من أمور الدين والدنيا، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦).

(٢) ينظر : لسان العرب (١٥/ ٤٠٥)،(مادة ولي).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٨٠).

،اقرؤوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾». (١)

فالله سبحانه وتعالى رفع مكانة نبيه ﷺ ومنزلته في قلوب المؤمنين حيث إنه ﷺ أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه وما يملك ، وأقرب إليه منه، وجعل هذا الأمر من صميم الإيمان وأصلاً من أصوله ، فيجب على كل مؤمن ومؤمنه أن يكون ﷺ أحبَّ إليهم من أنفسهم ، ولذا جاء عنه ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » ، (٢)

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » ، فقال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ : « الآن يا عمر ». (٣)

فعلى كل مؤمن ومؤمنة أن يعرف مكانة النبي ﷺ ، و يعلم أنَّ نبيه محمداً ﷺ أولى به من نفسه ، وأن كل ما يملك فداء له وملكٌ له ، وأنه يجب التسليم الكامل والانقياد التام لأمره ولما جاء عنه ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٩٥)كتاب التفسير، باب ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾برقم (٤٥٠٣)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤) كتاب الإيمان،باب حب الإيمان برقم (١٥)، ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ برقم (٤٤) عن أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٤٤٥)كتاب الأيمان والنذور،باب كيف كانت يمين النبي ﷺ برقم (٦٢٥٧).

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(١)
وألاّ يرغب بنفسه عن نفس نبيه ﷺ الزكية الكريمة حفاظاً عليها وعلى راحتها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾،(٢) بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مؤمن أن يفديه بنفسه، ويقدمه عليها، تعظيماً لرسول الله ومحبة له وإيماناً به.

وإنما استحق ﷺ هذه المرتبة العظيمة والمكانة العالية بفضل من الله ﷻ ثم لعظم شفقته على أمته ورأفته بهم ، وكمال نصحه لهم، وحرصه على هدايتهم ، وشدة رحمته بهم ، فإنه ﷺ ما ترك طريقة تهدي إلى الصواب إلا وشرعها لهم ودلّهم عليها بفعله وقوله.

فلا ريب أن يكون ﷺ بهذه المكانة من الشفقة على أمته والنصح لها والحرص عليها والرأفة والرحمة بها ، ولذا وصفه القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾،(٣) فكان ﷺ يعزّ عليه ويشق عليه ما يشق على أمته ، كما أنه كان حريصاً يحب الخير للمؤمنين ويسعى جهده في إيصاله إليهم شديد الرأفة والرحمة بهم،أرحم بهم من والديهم ، فكان حقاً ولياً وشفيقاً على أمته ناصحاً لها .(٤)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٢٠).

(٣) سورة التوبة، الآية (١٢٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٥٩

## المبحث السابع: صفة الصدق

قــــال تعـــــالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾(١).

« أصل الصدق يدل على قوة في الشيء قولا وغيره. من ذلك الـصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قـوة لـه، هـو باطـل. وأصل هذا من قولهم شيء صدق، أي صلب ».(٢)

والصدق من الصفات النبيلة والشمائل الكريمة التي كان يتـصف بهـا نبينـا محمد ﷺ ويتحلى ويتخلق بها ،فكان صادقاً في وعوده وأخباره، بـل إنـه ﷺ كـان المثَل الأعلى في الاحتذاء به في صدقه في أقواله وأفعاله، ووفائه بوعوده .

وقد كان هذا الخُلُق من صفات نبينـا محمـد ﷺ في الجاهليـة والإسـلام ، فقد كانت قريش تصفه قبل أن يتنزل عليه الوحي بـالصادق الأمين ، وحتى مع بدء الدعوة ، اعترفت قريش بصدقه قبـل أن يـتكلم عـن دعوتـه،وذلك أنه لما صعد الصفا فهتف: « يا صباحاه »، فقالوا:من هـذا ؟ فـاجتمعوا إليـه قـال: « أرأيـتم إن أخـبرتكم أن خـيلاً تخـرج مـن سـفح هـذا الجبـل أكنـتم مصدقي؟ »،قالوا ما جربنا عليـك كـذباً، قـال: « فـإني نـذير لكـم بـين يـدي عذاب شديد ».(٣)

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠٢) كتاب التفسير،باب تفسير سورة المسد، برقم =

وصفة الصدق من صفات الأنبياء وأخلاق المرسلين ، فقد أشاد القرآن الكريم بهذا الخلق الحميد حيث وصف نبي الله ﷻ ورسوله إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد تشريفاً له وإكراماً، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[1] .

قال ابن جريج في تفسير الآية: «لم يَعدْ ربَّه عدة إلا أنجزها، يعني: ما التزم قط عبادة بنذر إلا قام بها، ووفاها حقها ».[2]

وسورة الأحزاب قد كشفت لنا هذا الخلق النبيل لنبينا محمد ﷺ من خلال موقف أصحابه رضوان الله عليهم حينما رأوا أحزاب الكفار واليهود والمنافقين قد تحزبوا لمقاتلة رسول الله ﷺ والمؤمنين أجابوا بكل ثقة وثبات أنَّ ما هم فيه من الابتلاء والفتنة في مجابهة العدو ثم النصر القريب هو ما وعد الله ﷻ بوعده الحق الذي لا يخلفه، ورسولُه ﷺ الصادقُ في وعوده وأخباره ،الذي لا ينطق عن الهوى،المؤيدُ بالآيات والمعجزات،قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾[3].

= (٤٦٨٧)،ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٣)كتاب الإيمان، باب باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين )، برقم (٣٥٥)،عن ابن عباس رضي الله عنه .

(١) سورة مريم ، الآية (٥٤).

(٢) ينظر:جامع البيان (١٦/ ٧٢)،وابن جريج: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، رومي الأصل من موالي قريش، كان إماماً فقيهاً،مات بمكة سنة (١٥٠هـ)،ينظر:تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٤٠٠)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٥٨).

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٢٢).

وقد صدق اللهُ ورسولُه ، فإنَّ كل ما شاهده المؤمنون ، وكل ما حصل لهم من الزلزال وتعاظم الأهوال ، وما نزل بهم من الرعب وما أُخبروا به من النصر القريب لم يزدهم إلا تصديقاً ويقيناً وانقياداً. [١]

ولما عرضت السورة موقف المؤمنين الصادقين المصدقين بوعد الله ورسوله عرضت بالمقابل موقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض من وعد الله ورسوله بنصر المؤمنين على من تحزب لمقاتلتهم وإظهار دينه بأنه وعد كاذب لا حقيقة له ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢].

فهذا موقف المنافقين ومرضى القلوب من وصف الرسول ﷺ بأنه غير صادق في وعوده ،وأنَّ وعوده وعودٌ كاذبة لا حقيقة لها ، فشتان ما بين الفريقين:

المؤمنون الذين صدقوا الله وقاموا بما عاهدوا الله ووفوا بوعدهم ولم ينقضوه ، وقالوا مقالتهم بكل ثقة وثبات أنَّ رسول الله ﷺ ذا الخلق الكريم صادقٌ في وعوده وأخباره ، والمنافقون ومرضى القلوب الذين كشفت هذه المواقف عن حالهم وطويتهم المرتابة بأنَّ رسول الله ﷺ كاذب في وعوده وبأنَّه قد غرَّ أصحابه بتلك الوعود الكاذبة من النصر والظفر والتمكين ،

---

(١) ينظر:نظم الدرر (١٥/ ٣٢٥)، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٠ ، التفسير المنير (٢١/ ٢٧٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٢).

حتى قال قائلهم: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته. (١)

فمما تقدم تبين لنا أنَّ من صفات نبينا محمد ﷺ الكريمة التي كان يتحلى بها ، وشمائله الطيبة التي حرص على التخلق بها وغرسها في نفوس أصحابه الصدق وأنه كان صادقاً في وعوده وأخباره ، وأن حياته العملية كانت مثالاً في الصدق في القول والعمل، والوفاء بالوعد.

فكان حقاً على أمته وأتباعه أن يتحلوا بصفة الصدق ويتخلقوا بها في وعودهم وأخبارهم، وفي أقوالهم وأفعالهم .

(١) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٨٤).

## المبحث الثامن: صفة الشهادة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(١).

معنى الشهادة: الحضور والإعلام والاطلاع على الشيء والإشراف عليه (٢)، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣).

ومن صفات النبي الكريم ﷺ التي وصف بها في سورة الأحزاب صفة الشهادة، وذلك أنه ﷺ شاهد لله ﷻ بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، وشاهد على أمته وعلى أعمالهم خيرها وشرها. (٤)

وقد نقل لنا القرآن الكريم وصف النبي ﷺ بالشهادة في أكثر من موضع غير ما ذكر في سورة الأحزاب، منها:

أولاً: جاء وصفه ﷺ بأنه شاهد على الناس بتبليغ ما أمره الله ﷻ به، وبإجابة من أجاب دعوته، وامتناع من امتنع، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾(٥).

ومجيء هذا الوصف بصيغة اسم الفاعل في زمن الحال، أي: هو شاهد عليكم الآن، لإفادة استمرار الدعوة وتكررها. (٦)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٥)، وورد مثلها في سورة الفتح، الآية (٨).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧٢)، ،المصباح المنير للفيومي ص ٤٤٣ (مادة شهد)

(٣) سورة البروج، الآية (٩).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧، ص٧٩٢

(٥) سورة المزمل، الآية (١٥).

(٦) ينظر: جامع البيان (٢٩/ ٨٦)، التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٧٣).

ثانياً: جاء وصفه ﷺ بأنه شهيد ، بمعنى الحاضر الرقيب، أو القائم بالشهادة ،[1] قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[2].

والآية في سياق تعداد نعم الله ﷻ العظيمة ومنحه الجليلة التي تفضل بها على هذه الأمة والتي منها، جَعْلُهُم أمة خياراً عدولاً ، وسطاً في كل أمور الدين ، وذلك ليكونوا شهداء على الأمم السابقة بأنَّ رسلهم قد بلغوهم رسالات ربهم. [3]

ثم وُصف الرسول ﷺ بأنه شهيد عليهم حيث بلَّغهم البلاغ المبين ، وكان لهم إماماً وقدوة ومثلاً أعلى في الوسطية ، فإن ساروا عليها كانت شهادته ﷺ تزكية لهم ، وإعلاماً لهم بعدالتهم، وإن حادوا عنها شهد عليهم بأنهم ليسوا من أمته ، فخرجوا من الوسطية إلى الانحراف. [4]

وهذه الشهادة الموصوف بها نبينا ﷺ إنما تتجلى يوم العرض على الله

(١) ينظر: الكشاف (١/ ١٢٩ )،البحر المحيط (١/ ٣٦٧ ).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٣) يوضح ذلك ما جاء في صحيح البخاري (٣/ ١٢١٥ ) كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى (إنا أرسلنا نوحا) برقم (٣١٦١) عن أبي سعيد ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته" قال: فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾.

(٤) ينظر: الكشاف (١/ ٢٣٥)،البحر المحيط (١/ ٣٦٦)، التفسير المنير(٢/ ٩).

ﷻ عندما يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم، ويؤتى بنبينا ﷺ شهيداً على أمته بما عملت من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[١]، وشهادة الأنبياء على أقوامهم ونبينا ﷺعلى أمته إنما كانت قطعاً للحجج والمعاذير، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾.[٢] أي: لا يسمح للذين كفروا بالاعتذار عن أنفسهم ، ولا يطلب منهم العتاب.[٣]

ولما كان بعث الشهداء من كل أمة عاماً مع جميع الأقوام جاء تأكيده مرة أخرى بذكر شيء من التخصيص في موقف خاص لنبينا محمد ﷺ في وصفه بالشهادة مع قومه، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[٤] .

وشهادة الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم خاصة، وشهادة نبينا ﷺ عامة، وبعثته لجميع الأمم، ولذا قيّدها بقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، أي: منهم يعرفونهم قطعاً للمعذرة.[٥]

وفي سياق ما ورد في سورة الحج من الأوامر الشرعية التي قصد منها

(١) سورة النساء، الآية (٤١).

(٢) سورة النحل، الآية (٨٤).

(٣) ينظر:التفسير الكبير(٢٠/ ٩٥).

(٤) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٥) ينظر:ملاك التأويل للغرناطي (١/ ٣٤١).

توثيق صلة المؤمن بربه وتهذيب نفسه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١) يأتي التذكير بشهادة نبينا محمد ﷺ على أمته بأعمالهم خيرها وشرها، فإن حققوها كانت شهادته ﷺ تزكية لهم، وإن أهملوها شهد عليهم بأنهم ليسوا من أمته، وأن هذه الأمة شاهدة على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم البلاغ المبين،(٢) قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٣).

وتأمل في هذه الآية كيف قدمت شهادة الرسول ﷺ على شهادة الناس بخلاف آية البقرة المتقدمة، وذلك أن هذه الآية في مقام الثناء والتنويه بهذا الدين العظيم الذي جاء به الرسول ﷺ، فلذا قدم الرسول فكان ذكر شهادته هو الأهم، وأما آية البقرة فقد صُدِّرت بالثناء على هذه الأمة فكان ذكر شهادتها هو الأهم، وهذا سرٌ من أسرار هذا الكتاب العظيم والله أعلم.(٤)

---

(١) سورة الحج، الآية (٧٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٤، التفسير المنير (١٧/ ٢٨٩).

(٣) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير(١٧/ ٣٥٢).

## المبحث التاسع :صفة البشارة

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(١) .

البشارة:الإخبار بشيء مغيب ،مما يُسعد ويَسرُّ، لظهور السرور في بشرة الوجه ، وقد تستعمل في الشَّرِّ ولكن بِقَيْد ،(٢) كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٣).

وصفة البشارة من الصفات الكريمة التي وُصف بها نبينا محمد ﷺ في سورة الأحزاب، فقوله: ﴿وَمُبَشِّرٗا ﴾، وصف للنبي ﷺ، وهو عام يدخل فيه البشارة بالثواب العاجل والآجل، والبشارة بالأعمال الموجبة لذلك، والبشارة بصفة العاملين بها. (٤)

وجاء وصف نبينا ﷺ أيضاً بصفة البشارة بأسلوب الأمر ، وأنها تدل على أن بعثته ورسالته إلى الناس جاءت لتحقيق تلك الغاية المذكورة ، وذلك تكريماً لشأنه ورفعاً لقدره ﷺ، وزيادة في تعلق المؤمنين به بحيث تحصل خيراتهم بواسطته. (٥) قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾(٦).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٥)، وورد مثلها في سورة الفتح، الآية (٨).

(٢) ينظر: المفردات ص٤٦، اللسان (٤/ ٦١)، (مادة بشر).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٢١).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧ ).

(٥) ينظر:التحرير والتنوير(٢/ ٥٧).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (٤٧).

فذكر في الآية المبشَّر، وهم المؤمنون، ثم ذكر المبشَّر به، وهو الفضل الكبير، وهذا الفضل أمرٌ لا يقدر بقدر، فيدخل فيه هدايتهم ، وتولي أمرهم ، وغفران ذنوبهم ، وكشف كروبهم ، وتيسير أمورهم ، ثم الفوز برضا الله وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، ثم ذكر جزاءهم على أعمالهم وما أعده لهم من الثواب، وهو مما ينشط العاملين على سلوك الصراط المستقيم ، والتزود من الصالحات . [(١)]

ومجي البشارة في الموضع الثاني بأسلوب الأمر: (بشِّر) مراد به الثبات عليها والدوام والاستمرار،لأنه ﷺ متصف بها كما في الموضع الأول.

فتبين أن سورة الأحزاب ذكرت وصف نبينا الكريم ﷺ بصفة البشارة وأنها تدل على أن بعثته ورسالته إلى الناس جاءت لتحقيق تلك الغاية المذكورة، وذلك تكريماً لشأنه ورفعاً لقدره ﷺ ، وزيادة في تعلق المؤمنين به بحيث تحصل خيراتهم بواسطته. [(٢)]

ومن تأمل الآيات القرآنية عموماً الواردة في وصف نبينا محمد ﷺ بالبشارة وجدها قد جاءت بصور متعددة وأساليب مختلفة منها:

أولاً: جاء وصفُهُ ﷺ بأنه مبشِّر، بصيغة اسم الفاعل على سبيل الإخبار،كما، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[(٣)] ، أو

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧

(٢) ينظر:التحرير والتنوير(٢/ ٥٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٤٥)، ومثلها سورة الفتح، الآية (٨).

بأسلوب الحصر،في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾،[(١)] أي:ما كان إرسالك للناس إلا لأجل بشارة من أطاعك بثمرات الطاعة وأثرها الحسن من الثواب العاجل والآجل، وتحذير من خالفك وعصاك بثمرات المعصية وأثرها السيء من العقوبة العاجلة والآجلة. [(٢)]

ثانياً: جاء وصفه ﷺ بأنه بشير، بصيغة المبالغة على سبيل الإخبار، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾،[(٣)] أي: أنك بشارةٌ لكل من آمن بك واتبع أمرك، ونذارة لكل من عصاك وخالف أمرك، وهذا فيه تسلية له ﷺ عما يصيبه من الغم والضيق لإصرار قومه على الكفر. [(٤)] وبأسلوب الحصر،كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾،[(٥)] أي:ما كانت رسالته ﷺ إلا بشارة لجميع الناس بثواب الله، وإنذاراً لهم عقاب الله.

فتبين مما تقدم أنَّ البشارة من صفات نبينا محمد ﷺ الكريمة التي وصف بها في سورة الأحزاب خاصة ،وفي القرآن الكريم عامة، وذلك تكريماً لشأنه ورفعاً لقدره ﷺ، وزيادة في تعلق المؤمنين به بحيث تحصل خيراتهم بواسطته.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٥)، ومثلها في سورة الفرقان، الآية (٥٦).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٨

(٣) سورة البقرة، الآية (١١٩)، ومثلها في سورة فاطر، الآية (٣٤).

(٤) ينظر: الكشاف (٣/ ٦٠٨).

(٥) سورة سبأ، الآية (٣٨)

## المبحث العاشر: صفة النذارة

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(١) .

النذارة :الإعلام بالأمر والتخويف في إبلاغه،(٢) وهي تقابل البشارة، إذ البشارة- كما تقدم- هي الإخبار بالخبر السارِّ الذي يُسعد ويَسرُّ، فالنذارة إخبار بالمكروه ،والبشارة إخبار بالمحبوب .(٣)

وصفة النذارة من صفات نبينا محمد ﷺ الكريمة التي وُصف بها في سورة الأحزاب، وأنه ﷺ جاء منذراً الناس ، محذراً من عصاه بالعقوبة العاجلة والآجلة .

والنذير وصف من أوصاف النبي ﷺ ، فهو نذير لكل من أعرض وأسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، فمن كان كذلك فله النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على طغيانه وبغيه وإسرافه على نفسه، وفي الآخرة بالعقاب الشديد ، والعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾(٤).

واللُّد:جمع ألدّ، وهو الشديد الخصومة بالباطل ، اللَّجوج المعاند. (٥)

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٥).

(٢) ينظر: المفردات ص ٥٠٨ (مادة نذر).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٥).

(٤) سورة مريم، الآية (٩٧).

(٥) ينظر: المفردات ص٤٦٩ (مادة لدد).

وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم وجدنا أن نبينا محمداً ﷺ قد وصف بالنذارة تارة،و بالبشارة تارة، وتارة جُمع له الوصفان في مقام واحد، ولا تعارض بينها، فإنه ﷺ جاء بالوعد والوعيد، وأرسل بشيراً و نذيراً،ولذلك جاءت الآيات المتوالية في الجمع له بين الوصفين،كما في آية الأحزاب: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾(١)، وغيرها من الآيات ، فالبشارة للمتقين بثمرات التقوى من الثواب العاجل والآجل، والنذارة للمخالفين العاصين من العقوبة العاجلة والآجلة.

وإذا وردت الآيات القرآنية تصف النبي ﷺ بالإنذار وحده فإن ذلك يعني أن المقصود الأعظم من الدعوة هو الإنذار، ولذلك ورد في القرآن الكريم ما يوضح أن النبي ﷺ جاء لإنذار العالمين عموماً بأمر الآخرة، وتحذيرهم من التفريط فيه،قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢)، فهو نذير للعالمين بعموم مكانهم وزمانهم وأجناسهم.

وتأتي الآيات القرآنية تارة لتحصر وظيفة النبي ﷺ بأنه نذير للناس عموماً لأجل تحذيرهم من عاقبة مخالفة أمر الله، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾،(٣) فالنذارة وصف للنبي ﷺ وهي لعموم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٥).

(٢) سورة الفرقان، الآية (١) .

(٣) سورة الحج، الآية (٤٩) .

الناس ،والبشارة للمؤمنين خاصة، قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾(١).

ولا يقصد دائما وصفه ﷺ بإنذار المخالفين والمكذبين فحسب ،بل قد يوصف بإنذار المؤمنين المصدقين بوعد الله ووعيده، الخائفين وقوفهم بين يدي الله ﷻ المستعدين له،(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(٣) .

فتبين مما تقدم أنَّ صفة النذارة من صفات نبينا محمد ﷺ الكريمة التي وصف بها في سورة الأحزاب ، وفي القرآن الكريم عامة ،وذلك تكريماً لشأنه ورفعاً لمكانته ﷺ ، ورحمة من الله ﷻ حيث جعل النذارة من أسمى المقاصد في رسالة نبينا محمد ﷺ ، وذلك لإنذار الناس بأمر الآخرة وتحذيرهم من التفريط فيه ، وذلك حرصاً منه ﷺ على نجاة أمته ، وإنقاذاً منه لهم من الهلكة.

(١) سورة يونس ، الآية (٢) .

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/ ١٢٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥١) .

## المبحث الحادي عشر: صفة الدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[١].

الدعوة من الفعل دعا، وهي المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء إلى شيءٍ ما هو الترغيب فيه والحث عليه،[٢] وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية الدعوة إلى الله بأنها: « الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله وبتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا».[٣]

والدعوة إلى الله ﷻ من أشرف العبادات وأسمى المهام ، وهي مهمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلى الناس من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ الذين جعلهم الله تعالى واسطة بينه وبين خلقه يبلغون عنه شرعه إليهم ، ليكونوا بدعوتهم سبباً في إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنة، ويكفي شرفاً في هذا الجانب قول المولى ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾،[٤] أي: لا أحسن من ذلك على الإطلاق ، وهذا ثناء من الله ﷻ للدعاة المصلحين الذين يدعون إلى توحيد الله وعبادته.[٥]

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٤٦).

(٢) ينظر: اللسان (١٤/ ٢٥٧)، (مادة دعا).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥٧).

(٤) سورة فصلت، الآية (٣٣) .

(٥) ينظر:تيسير الكريم الرحمن ص٧٤٩

وفي سورة الأحزاب يأتي وصف النبي ﷺ بصفة الدعوة إلى الله ﷻ وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(١) .

أي: داعياً الخلق إلى عبادة ربهم وطاعته بأقرب الطرق الموصلة إليه، وتعريفهم بربهم وبأسمائه وصفاته، وتوضيح أمور دين الله وشرعه ، وغير ذلك مما تشمله الدعوة إلى الخير ، والترهيب من الشرِّ ، وربط الخلق بالحق ، فهذه الدعوة دعوة إلى الله ﷻ وإلى دينه وشرعه الذي شرعه وأمر به،ولذا جاء تقييده بقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، تحذيراً ممن يدعو الناس إلى منهج محدث ،أو إلى طريقة مبتدعة.(٢)

ولما كانت الدعوة إلى الله ﷻ في غاية الصعوبة والتعذر، لا تتأتى إلا بتيسير من المولى وتوفيق منه جاء التقييد بقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾، أي: بإذن الله تعالى له ﷺ في الدعوة وأمره وإرادته.(٣)

وقد أوضح القرآن الكريم ما كان عليه ﷺ من المنهج في الدعوة إلى الله ﷻ بأنه يسير في دعوته على بصيرة وعلى حجة واضحة وعلم ويقين ،لا على جهل وضلال،(٤) قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾(٥).

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٤٦).

(٢) ينظر:تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧

(٣) ينظر: الكشاف (٣/ ٥٤٧).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٣/ ٥٢).

(٥) سورة يوسف ، الآية (١٠٨).

كما أوضح القرآن الكريم ما كان عليه ﷺ من كيفية دعوته ﷺ وتعامله مع المدعوين، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١).

وذلك بأن تكون الدعوة بالحكمة، كلٌ على حسب حاله وفهمه وانقياده، وكذلك من الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.

وأن تكون الدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب و الترهيب ، وبالنذارة والبشارة.

وأن يكون جداله ﷺ للمدعوين ممن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، بالوجه الحسن والأسلوب اللَّين. (٢)

هكذا كانت دعوة نبينا محمد ﷺ التي اتصف بها ، والتي عُلم منهجه فيها، وهو يدل على أن للدعوة إلى الله ﷻ أهمية بالغة في دين الله، وأثراً كبيراً في إصلاح البشرية، فلذلك جعل الله ﷻ لأصحابها شرفاً عظيماً، ومقاماً رفيعاً، وإمامة للناس، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

ونبينا محمد ﷺ الموصوف بالدعوة إلى الله ﷻ قد قام بهذه الدعوة على

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦١٣)،تيسير الكريم الرحمن ص٤٥٢

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

أكمل وجه، فأمر الخلق بكل ما أمره الله به،ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه،قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾(1) .

فالدعوة إلى الله ﷻ من أشرف العبادات وأسمى المهام ، وهي مهمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلى الناس من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فكان حرياً بأتباع سيد المرسلين أن يتأسوا به وأن يسلكوا منهجه في الدعوة إلى الله ﷻ وأن يسيروا في دعوته على بصيرة وعلى حجة واضحة وعلم ويقين كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(2).

(1) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

(2) سورة يوسف ، الآية (١٠٨).

## المبحث الثاني عشر: صفة السراج المنير

قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(١).

السراج المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل والجمع سُرُجٌ، والمسرجة التي فيها الفتيل.(٢) ويعبر بالسراج عن كل مضيء فالشمس سراج والنهار سراج، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾(٣).

ونبينا محمد ﷺ لما كان هو السفير من الله ﷻ إلى عباده، وحامل وحيه، ومهمته إبلاغ الرسالة التي أرسله الله تعالى بها وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية، ودعوتهم إلى الخير وصفه الله تعالى في الآية بكونه سراجاً منيراً، والسراج المنير الذي يضيء في الظلمات، قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٤)؟

ولما كانت رسالته ﷺ بالهدى ودين الحق، وإنزال الكتاب عليه هداية ورحمة للعالمين وقد دعا به الناس إلى الدخول في دين الحق، فاهتدى من اهتدى بهداه، واستنار من استنار بنوره، وكانت وظيفته ﷺ هداية الخلق، وإنارة الطريق لهم، وإزالة الظلمات عنهم، وكشف الشبهات لهم،لما معه من النور والعلم والبيان،وصفه الله تعالى بالهداية قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).

(٢) ينظر: المفردات ص٤٧١ ،اللسان ٢/ ٢٧٦ (مادة سرج).

(٣) سورة نوح، الآية (١٦).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

قال ابن سعدي في تفسيره :«كونه سراجاً منيراً، وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله ﷻ بهذا النبي الكريم ﷺ، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلّم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم، فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام ﷺ وعرفوا به الخير والشر، وأهلَ السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به،لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة».[2]

ولما كان المقام مقام دعوة وإرشاد إلى الهداية واستنارة من الظلمات وُصف ﷺ بأنه سراج، والسراج المصباح الزاهر نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيُضيء إضاءة بليغة، وهذا الوصف من التشبيه البليغ، والقصد منه تقريب المشبَّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة ، ولذا وصفت الشمس بالسراج في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[3].

ولما كان من السُرُج ما لا يضيء جاء التأكيد بقوله: ﴿مُّنِيرًا﴾، ولأن

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٧

(٣) سورة نوح، الآية (١٦).

التصريح به يفيد أنه ينير لمن اتبعه ليسير في أعظم ضياء،ومن تخلف عنه كان في ظلمات مدلهمة.[١]

وكما وُصف نبينا محمد ﷺ بالسراج المنير الذي ينير في الظلمات ويسترشد به المسترشدون طريقهم فقد وُصف بأنه النور الذي يشرق ويضيء للناس طريقهم ، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[٢].

فالنور هو الرسول ﷺ أنار الله ﷻ به الحق،والكتاب المبين هو القرآن العظيم بيّنٌ في نفسه مبيّنٌ للحق، [٣]

يقول الطبري في تفسيره: « يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: ﴿قَدْ جَآءَكُم﴾ ، يا أهل التوراة والإنجيل، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾، يعني بالنور:محمدًا الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يبيّن الحق، ومن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب.

وقوله: ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، يقول جل ثناؤه: قد جاءكم من الله تعالى النور الذي أنار لكم به معالم الحق، وكتاب مبين، يعني: كتاباً فيه بيان

(١) ينظر: روح المعاني (٢٢/ ٤٦)، التحرير والتنوير(٢٢/ ٥٤).

(٢) سورة المائدة ، الآية (١٥).

(٣) وهذا هو القول الراجح في معنى الآية، وعليه جمع من المفسرين، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وقيل:النور هو القرآن، وقيل هو الإسلام، ينظر: التفسير الكبير ( ١١/ ١٨٩).

ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله، وحلاله وحرامه، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله ».[1]

وعندما يصف القرآن الكريم نبينا محمداً ﷺ بأنه نور يهتدى به فإنه يؤكد هذا الوصف بوصفه ﷺ بالهداية وأن بعثته جاءت لهداية الناس وإرشادهم إلى صراط ربهم المستقيم ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وقد أكدت الجملة بمؤكدات :"إنَّ، واللام "، وذلك للاهتمام،ولتثبيت قلب النبي ﷺ بالشهادة له بهذا المقام العظيم.[3]

وهكذا يتبين لنا أن من صفات نبينا محمد ﷺ الكريمة التي وصف بها في سورة الأحزاب ، صفة الهداية ، وأنه ﷺ كان سراجاً منيراً يهتدى به في الظلمات، وعلماً يستدل به في الجهالات ، وفي القرآن الكريم من الآيات ما يؤكد هذا الوصف ، وفي هذا كله تكريم لشأنه ، ورفع لمقامه ﷺ ، وأنه جاء رحمة من الله ﷻ لإخراج الناس من ظلمات الجهل والكفر والضلال إلى نور العلم والطاعة والهداية.

---

(١) جامع البيان (٦/ ١٠٤).

(٢) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٣) ينظر:التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٥).

## الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيراً أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

- أن سورة الأحزاب من السور المدنية التي تناولت أحكاماً تشريعية وآداباً اجتماعية،وقد كان مقصدها الأساس نصرة النبي ﷺ وتأييده بالأمر بالثبات على تقوى الله ﷻ ولزوم طاعته وتأدية واجبات رسالة ربه ﷻ ، وقد تمثَّل هذا في نصرته ﷺ على قوى البغي والشر الذين تحزبوا حول المدينة لقتاله، وتأييده بجنود من الله ﷻ ، وكذلك نصرته ﷺ بتوقيره وتبجيله والحذر من إيذائه بأي لون من ألوان الأذى ، واحترام أزواجه أمهات المؤمنين وأهل بيته، ونصرته بدفع أذى أعدائه من اليهود والمنافقين وخذلانهم وكشف عوارهم ، وتسليطه ﷺ عليهم بإخراجهم من المدينة.

- أنَّ سورة الأحزاب اشتملت على صفات لنبينا محمد ﷺ جليلة بلغت ثنتي عشرة صفة مما يدل على عظيم مكانته وعلو مقامه وسمو منزلته عند ربه ﷻ.

- أن من صفات نبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب صفة النبوة،وقد وردت ثنتي عشرة مرة، منها خمس مرات بصيغة النداء جاءت لأغراض متنوعة تتعلق بالتشريع بعضها خاص به ﷺ وبعضها عام يتعلق به وبغيره.

- صفة الرسالة من صفات نبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب ،وقد وردت أربع عشرة مرة في مواضع متعددة ولأغراض متنوعة مما يدل على عظم هذا الوصف في حق نبينا محمد ﷺ .

- صفة تبليغ الوحي والرسالة من أجل صفات نبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب ، فقد وصفت السورة نبينا محمداً ﷺ بأنه يبلغ رسالة ربه تعالى إلى خلقه ويؤدّيها بأمانة ولا يخاف أحداً سواه ، فلا تمنعه سطوة أحد عن إبلاغ رسالات ربه، فقام حقاً بتبليغ الوحي ونصح أمته وجاهد في الله حق جهاده ﷺ.

- صفة الخشية من صفات نبينا محمد ﷺ الواردة في سورة الأحزاب، وقد جاءت على سبيل المدح والثناء من الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ، فقد كان أشد الناس خشية لربه ومراقبة له في أقواله وأعماله فكان ﷺ أعلم الناس بربه، وأشدهم له تعظيماً وتبجيلاً.

- الحياء: خُلُق يبعث على فعل كل مليح ، وترك كل قبيح، وهو مجمع الفضائل ، ورأس المكارم، وقد وصفت السورة نبينا محمداً ﷺ بصفة الحياء وأنه ﷺ أكمل الناس حياءً ، وأعظمهم اتصافاً به،وأشدهم تمسكاً.

- لقد رفع الله سبحانه وتعالى مكانة نبيه ﷺ ومنزلته في قلوب المؤمنين فجعله أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه وما يملك ، وأقرب إليه منه، وجعل هذا الأمر من صميم الإيمان وأصلاً من أصوله ، فيجب على كل مؤمن ومؤمنه أن يكون ﷺ أحبَّ إليهم من أنفسهم.

- الصدق من الصفات النبيلة والشمائل الكريمة التي كان يتصف بها

نبينا محمد ﷺ ويتحلى ويتخلق بها ، وقد ذكرت سورة الأحزاب هذه الصفة لنبينا محمد ﷺ فكان صادقاً في وعوده وأخباره، بل إنه ﷺ كان المثلَ الأعلى في الاحتذاء به في صدقه في أقواله وأفعاله، ووفائه بوعوده .

- لقد جمع الله لنبيه محمد ﷺ في سورة الأحزاب في آيتين متتاليتين خمس صفات من أجل صفاته ، وذلك في قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾،[1] وهي صفة الشهادة أنه ﷺ شاهد لله ﷻ بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، وشاهد على أمته وعلى أعمالهم خيرها وشرها. وصفة البشارة وأنه ﷺ جاء مبشراً بالثواب العاجل والآجل،وبالأعمال الموجبة لذلك. وصفة النذارة وأنه ﷺ نذير لكل من أعرض وأسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي. وصفة الدعوة إلى الله وأنه قام بها على أكمل وجه، فأمر الخلق بكل ما أمره الله به،ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه. وبوصفه بالسراج المنير الذي يشرق ويضيء للناس طريقهم وينير في الظلمات فيهتدي به المهتدون ويسترشد به المسترشدون طريقهم.

وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥-٤٦).

## فهرس المصادر والمراجع


- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض السعودية ، ، ١٣٩١هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود محمد بن محمد العمادي، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة،علي بن محمد ابن الأثير الجزري،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ١٤١٥هـ.
- أسماء القبائل وأنسابها – محمد المهدي الحسيني القزويني، ت: كامل الجبوري، الدار العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- البحر المحيط، أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، صديق حسن خان.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٣، ١٤٠٨هـ.
- تفسير سورة الأحزاب ، الغزالي خليل عيد ، نشر: مؤسسة المد الله للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي،ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة،ط١، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشروالتوزيع ،الرياض، السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ.
- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
- التفسير المنير د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
- تناسق الدرر في تناسب السور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت:عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية، ١٣٢٥هـ
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان ط٢ ١٤٢٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف،

بيروت ، لبنان، ١٤١٢هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط١ ، ١٤٠٨هـ.
- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي، سوريا، ط٢، ١٣٩٧هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الشهاب محمود بن عبدالله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم الجوزية ،ت: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط١٣، ١٤٠٦هـ
- السنن الكبرى ،أحمد بن شعيب النسائي، ت: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ،١٤١١هـ.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط٢، ١٤٠٦
- شعب الإيمان ،أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني

زغلول، نشر دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ، ١٤١٠هـ

- الصحاح-تاج اللغة وصحاح العربية- إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت أحمد عبد الغفور عطار-دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري،ت:سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض،ط١، ١٤٠٧هـ
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، السعودية ١٤٠٠هـ.
- صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٥.
- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني مكتبة المعارف، الرياض.
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، أبو عبيد القاسم بن سلام،ت:أحمد عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٤١٥هـ.
- ابن القيم حياته وآثاره، د.بكر بن عبد الله أبو زيد، مطابع دار الهلال،السعودية،الرياض ط١ ١٤٠٠ هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور،دار صادر،بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٠هـ
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم مطبعة الرياض، ط١، ١٣٨١هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب.
- المستدرك على الصحيحين ، الحافظ أبوعبدالله الحاكم، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- المسند ،الإمام أحمد بن حنبل ،ت:مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ.
- مشاهير علماء نجد،عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، ت نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت ، لبنان.
- معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي،المكتبة الإسلامية،استانبول، تركيا،١٩٨٢م
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي - تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل،بيروت لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي لإلحاد والتعطيل-أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ت:د.سعيد الفلاح-دار الغرب الإسلامي-بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب ، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ط١ ١٤٢٦هـ.
- النبوات- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، نشر المطبعة السلفية،القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.